الإمام ابو الاعلى المودودي



حول تطبيق الشريعة الاسلامية في العصر الحاضر

مكتبة الرشد

حول تطبيق الشريعة الإسلامية

في العصر الحاضر

تأليف : أبو الأعلى المودودي

ترجمة : خليل أحمد الحامدي

مكتبة الرشد

الرياض

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع
طريق الحجاز - ص.ب: ١٧٥٢٢ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١
الرياض - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسرنا أن نقدم إلى الاخوة القراء ثلاث حلقات من الحوار الذى جرى بين الأستاذ أبو الأعلى المودودى وبين إذاعة باكستان حول موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية فى العصر الحديث . وقد جرى هذا الحوار فى الفترة التى كانت حكومة باكستان اعلنت البدء فى تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان تجاه بالرغبة المسلمين . فالحلقة الأولى والثانية أذيعتا فى ٨ و ٩ من شهر ابريل ١٩٧٨م حينما كانت القوانين الإسلامية تحت اعداد ودراسة المجلس الفكرى الإسلامى وكان المسلمون يمارسون الضغط على تطبيقها بدون ما تأخير بينما كانت العناصر المعادية تشتغل لتشويش الأذهان وبلبلة الأفكار حول هذا الأمر . وفى النهاية تمكنت الحكومة من تطبيق طائفة من القوانين على رغم العقبات فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٩هـ ، وفى هذه المناسبة اجرت إذاعة باكستان الحلقة الثالثة من الحوار مع الأستاذ المودودى حفظه الله فى ٦ مارس ١٩٧٩م .

إن جميع تلك الحلقات وإن كانت فى غاية الإيجاز بيد أن القراء الكرام يستطيعون أن يطلعوا من خلالها على التساؤلات التى توجه من

أصحاب العقلية الحديثة إلى الذين يحاولون تطبيق النظام الإسلامى فى العصر الحديث كما يطلعون على الأساليب التى يجب اتخاذها لانجاح هذه المهمة الشاقة .

ويسعدنا أن نقول أن الحركة الإسلامية فى باكستان أخذت على عواتقها تحقيق هذه المهمة على رغم ما يعترضها من عقبات كؤدة وأشواك شائكة فى الطريق . ومما لا شك فيه انها تقدمت فيه بعض الاشواط إلا أن بعضها الآخر وهو الأهم لا يزال ينتظر جهودا متضاعفة وتضحيات صادقة . والنصر دائما حليف المؤمنين . وذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم .

خليل أحمد الحامدى

مدير دارالعروبة للدعوة الإسلامية

لاهور ○ باكستان

١٩٧٩/٨/٢٧م

أسلوب الرسول ﷺ فى الحكم

مندوب اذاعة باكستان :

سماحة استاذنا الكبير قائد الحركة الاسلامية .

من اللحظات السعيدة لإذاعة باكستان أن يحضركم مندوبها ويوجه إليكم بعض الاسئلة . ولا يخفى على سماحتكم أن دولة باكستان تريد الاعتصام بحبل الله بعد أن عاشت ثلاثين سنة فى ظروف الانحراف . ومن فضل الله علينا أنه لا يختلف اثنان اليوم فى جعل باكستان دولة اسلامية .

يا صاحب السماحة ، هناك اكثر من واحد من الرواد والقادة ، ولكننا لانزال نعانى الاضطراب والتشويش من عدم الاهتداء إلى ما هو الحق ، وصرنا فى وضع يتمثل جيدا فى قول الشاعر الاردى ما معناه بالعربية : «امشى مع كل من يسير فى الدرب خطوات قليلة . ولا ازال اجهل من هو الرائد» .

نحن اليوم فى حاجة ملحة إلى التوجيهات التى جاء بها النبى ﷺ حتى نسير فى الطريق المستقيم ويصلح بذلك دنيانا وديننا .

يا صاحب السماحة ، أول ما نرجوه منكم هو أن تبينوا لنا الاسلوب

الـذى اختاره الـرسول عليه الصلاة والسلام للحكم . وثانـيـاً : كيف يمكن لنا اتباع هذا الاسلوب فى العصر الحاضر .

ولمعرفـة محاسن دولة راقية أو عيوبها فى العصر الحاضر تـؤخـذ الأمور الأربعة بعين الاعتبار :

١ـ من هو مصدر السلطة العليا فى الدولة .

٢ـ ما هو مدى حرية القضاء ونزاهته فيها .

٣ـ ما هى نوعية السلطة التشريعية وحدودها ونطاقها .

٤ـ مـا هى حـدود السلطة التنفيذيـة واختصاصاتها وخصائصها .

ومن هذا المنطلق نتوجـه اليكم برجاء حـار أن تلقوا الاضواء على عهد النبى ﷺ . حيث نحن وراء البحث عن كنوز تجعلنا نعيش وفق احكام الرسول ﷺ وتعاليمه : نعيش وفقها اليوم، وغدا ، بل ابدا دائما .

المودودى :

يسرنى كثـيرا أنكم اتحتم لى هـذه الفرصة لأبين لعامـة المسلمـين فى بلدى بصفـة عامـة ، ولحكامـه بصفـة خاصة عـلى أن نظام الحكـم الذى اقامه النبى ﷺ ماذا كان شكله واساسه .

إن الامر الاساسى الذى عرضه الرسول عليه الصلاة والتسليم هو : أن السلطة العليا المطلقة ليست إلا لله سبحانـه وتعالى . فالأرض أرض الله . وكل ما نعيش عليه من ماء وهواء وضوء وما إلى ذلك هو ملك لله سبحانه وتعالى . هـذا الجسم الذى نعيش بـه ، والقوى الكامنة فيه ، واعضاءه ، وجـوارحـه هـو الـذى وهبنا اياها . ولا يحق لنا ابتداء أن نـدعى لانفسنا السلطة المطلقة ، أو نعترف بها لاحـد يدعيها من دون الله . سواء أكان ذلك المدعى شخصا أو حزبا أو فئة أو مؤسسة .

فاول شيء عمقه النبي ﷺ فى اذهان البشر ودعا الناس إلى الايمان به هو : أن الملك لله تعالى ، والحكم له أيضا . ولا يجوز لاحد أن يشرّع للناس قانونهم .

والامر الثانى الذى له اهمية اساسية فى الدين أيضاً هو أن النبي ﷺ اوضح للناس أن الله سبحانه وتعالى لا يؤتى قانونه للناس مباشرة . وإنما يؤتيه لهم بواسطة انبيائه ورسله . والرسول ﷺ لم يكن حاكما منتخبا ولم يصطنع حكمه من تلقاء نفسه ، بل الله سبحانه وتعالى اعطاه هذا المنصب ، وأمره بأن يعلم الناس ، ويزكيهم ، ويصلح اذهانهم وافكارهم ويقوّم اخلاقهم ، ويبلغهم رسالات الله واحكامه . ويطبقها بالذين يؤمنون بها ويطيعونها ابتغاء مرضات الله .

والامر الثالث الذى دعا النبي ﷺ إلى الايمان به هو الآخرة . فالإنسان إذا لم يؤمن بكونه مسؤولا امام الله . وبأنه يبعث بعد موته ، ويقوم امام الله ، ويحاسب على كل عمل من اعماله لا يمكنه أن يسير فى طريق الاسلام . كما لا يمكنه أن يصبح انسانا حقيقيا .

إن هذه الأمور الاساسية الثلاثة ظل النبي ﷺ يدعو إليها ، ويعرضها على الناس فى مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة متتالية . فالذين آمنوا به ورضوا بتلك العقائد جعل منهم أمة واحدة ونظمهم فى جماعة واحدة .

وفى السنوات الثلاث الاخيرة من عهده ﷺ فى مكة المكرمة آمن به جماعة قليلة من اهل يثرب وهم دعوا النبي ﷺ أن يهجر اليهم ويهجر معه اصحابه . وصدقت السيدة عائشة رضى الله عنها حينما قالت : «إن المدينة فتحت بالقرآن» إذ لم يكن هناك سيف أو قوة

قاهرة ارغمت اهل المدينة على الاسلام . بل لما بلغهم القرآن وعلموا بما انزل فى مكة من سور القرآن آمنوا بها ايمانا صادقا . ولم يكتفوا بذلك ، بل دعوا النبي ﷺ وأصحابه إلى الهجرة إلى قريتهم (يثرب) الصغيرة . ولم تكن لهم هذه الدعوة دعوة اللجوء إلى هذه القرية بل كانت لأجل أن يكون النبي ﷺ لهم معلما ، ومربيا ، وحاكما ، وأن يكون المهاجرون والانصار أمة اسلامية واحدة ، وأن يقام فى تلك القرية ذلك النظام للحياة الذى آمنت به الأمة دينا وشريعة . وعلى ذلك فقد قامت الحكومة الاسلامية فى المدينة المنورة فى ذلك اليوم الذى نزل فيه النبي ﷺ المدينة .

وأول ما قامت به الحكومة الاسلامية هو العناية بنشر العلم والوعى بين الناس . لأن الاسلام هو العلم لا الجهل . واستنفد النبي ﷺ وأصحابه جهودهم فى أن يعرف الناسُ دينهم ، ويؤمنوا به على وعى وبصيرة . وبقدر ما انتشر الوعى واصبح الناس يعتنقون الاسلام ازدادت قوة الاسلام وتوطدت دعائمه .

والامر الثانى الذى حققه الرسول عليه الصلاة والسلام هو أنه زكى نفوس الناس ، واقام اعوجاجهم ، وانشأ مجتمعا يقوم كل شيء فيه على اساس الاخلاق المستقيمة . إذ أن أى نظام للحكم مهما كان يبلغ من السموقمته ، ومهما كانت قوانينه تبلغ من الصلاح أوجها إذا كان بناءه لا يقوم على قاعدة من الخلق النزيه ، وإذا كان القائمون به لم يكونوا من أصحاب السيرة المستقيمة والسلوك النظيف وإذا كان المجتمع الذى يخاطبه لم يكن مجتمعا يؤمن بالله ويخافه لن يدوم ذلك النظام للحكم أبدا . ولذلك النبي ﷺ مع تكريسه الجهود فى الدعوة

الى الايمان بالله ونشر العلم ركز عنايته على تزكية النفوس وتحسين الاخلاق . وكان من مقتضى طبيعة نظام الحكم الـذى جاء به النبي ﷺ أن تكون اخلاق الناس تساير طبيعته وتنسجم معه . ولـذلك لم يفتقر النبى ﷺ إلى استخدام القوة لتنفيذ الاحكام والقوانـين فى اغلب الاحيان ، ولم يحتج إلى ارغـام الناس على الطاعـة قسراً . وإنمـا كان يكفيـه أن يقول للناس : إن الله امركم بالأمر الفلانى ونهـاكم عن الامر الفلانى . وإذا بالناس يأتمـرون بمـا أمروا وينتهون عما نهـوا عنه عن طـواعية انفسهم . ولم يكن عند النبي ﷺ من شرطـة أو سجن أو شبكة للمخابرات . وما كان يدور بخلد أحد أن يبلغ الناس شيء من الرسول للعمل به فيخالفوه .

خذوا مثالا على ذلك حكم تحريم الخمر : عند ما أعلن فى المدينة حـكم التحريم اصبح الناس يريقون الخمور ويكسرون أوانيـها ويمتنعون من تناولها . واصبح من كان يشربها وبلغه النهى يصرفها عن فمه . ولا تجـدون ولا مثالا واحـدا فى جميع تاريخ البشريـة لهذا النوع من الالتزام والاتباع . وما يـوم امريكا ببعيد . انها صرفت آلاف الملايين من الأمـوال لاقناع الناس عـلى اضرار الخمر ومساويـه . وقـد جندت كافة الوسائل الاعلامية لشرح النتائج السيئة للادمان . وادخل على الدستور الامريكى بعد تاييد الـرأى العام تعديـل منع بموجبه الخمر فى امريكا . ولكن اليـوم التالى لصدور قانـون منع الخمر بـدأت ظواهـر المخالفة القانونية فى طول البلد وعـرضه . صار الناس يشربـون الانـواع الرديئة من الخمور . وقد بلغ الأمر إلى حـد أن الشارع الامريكى اضطر لالغاء قانـون منع الخمر . ولـكم الآن أن تقارنـوا بين المثالين : مثال يبرهن على أن ما أن صدر حكم تحريم الخمر إلا واقبل الناس على تطبيقه ايمانا

واحتسابا . ومثال يوضح أنه يقرر قانون منع الخمر معززا بالتاييد الشعبي ، بعد تمهيد الجو وبذل الدعاية على اوسع النطاق . ولكن صدور القانون يقترن بمخالفته بدون ما تاخير . وهذا دليل واضح على أن نظام الحكم الصالح اساسه الايمان والتقوى . وبانعدام هذين الامرين مهما وضعنا احسن الدساتير وأفضل القوانين لا تعدو حبرا على الورق ولا تنال طريقها إلى التنفيذ فى الأرض .

مندوب اذاعة باكستان :

الخصائص الأربعة للنظام الديمقراطى الغربى اليوم الذى اشرت إليه فى البداية هل كان الحكم الإسلامى ايام النبى ﷺ يتسم بتلك الخصائص ؟ وإذا كان فبأى شكل ؟

المودودى :

فيما يتعلق بالسلطة العليا سبق أن قلت أن تلك السلطة ليست إلا لله سبحانه وتعالى كما علمنا بذلك النبى ﷺ . وأما تصنيف الحكومة إلى ثلاث سلطات : التنفيذية والتشريعية والقضائية فهذا التصنيف لم يكن فى عهد النبى ﷺ . فهو ﷺ كان شارعا وكان قاضيا وكان حاكما . فكل تلك السلطات كانت مجتمعة فى شخص النبى ﷺ بحيث كونه نبيا مامورا من الله . ولكن كان من دأب الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأمر الذى كان يأتيه من الله عز وجل كان يطالب الناس باتباعه اتباعا كليا . ولم يكن هناك متسع فى مناقشته . أما الذى لم ينزل فيه أمر من السماء كان يستشير فيه أصحابه ، وكان يعطى لهم الحق فى الاختلاف معه . وحدث اكثر من مرة أنه ﷺ تخلّى عن رأيه إلى رأى أصحابه . والمثال على ذلك ما حدث فى غزوة بدر حيث

أنه ﷺ اختار مكانا للنزول فقام أحد أصحابه الحباب بن المنذر يسأل : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا انزله الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله فقال رسول الله ﷺ : لقد اشرت بالرأى فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا اتى ادنى ماء من القوم نزل عليه .

يمكنكم أن تفهموا من خلال ذلك أن الرسول ﷺ كان يروض الناس على امرين : احدهما : كل امر ينزل من الله يطيعوه اطاعة مطلقة بدون تلكؤ . وثانيهما : الامر الذى لم ينزل فيه حكم من الله يستشار فيه اصحاب الرأى والبصيرة ويتاح لهم حق مناقشته ، واستبانة ما فيه من جوانب الحسن أو القبح ، ويتاح لهم حتى الاختلاف معه فى بعض آرائه ، وعرض رأى آخر عليه ثم الاخذ بالرأى الذى يقرر بعد المشاورة .

ولكم مثال آخر من هذا القبيل : عند ما اكفهرت الظروف واشتد البلاء فى غزوة الأحزاب اراد الرسول ﷺ أن يعقد الصلح مع بعض القبائل من غطفان : اعداء الاسلام ، على ثلث ثمار المدينة ، لأجل فصلها من تكتل المشركين . فلما اراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله: امراً تحبه وتصنعه ؟ أم شيئا امرك الله به، لابد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء اصنعه لكم، والله ما اصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، كالبوكم من كل جانب فاردت أن اكسر عنكم من شوكهم إلى امر ما ،

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهولاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يا كلوا منها تمرة إلا قرى (ضيافة) أو بيعا . أفحين اكرمنا الله بالاسلام، وهدانا له ، واعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ﷺ : فانت وذلك فتنازل سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا .

ويمكنكم أن تعرفوا مما ذكرت آنفا إسلوب الرسول ﷺ للحكم حيث أن الأمور التى كان الله ينزل فيها حكمه لم يكن فيها ما نصطلح عليه اليوم بالديمقراطية . والأمور التى لم يكن فيها حكم الله كانت تتسم بروح التشاور (روح الديمقراطية بدون تشبيه) .

ونأخذ الآن موضوع السلطة القضائية . إن الرسول ﷺ كان قاضيا حيث قال الله عز وجل : «إنا انزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما اراك الله» . وعلى هذا كانت السلطة القضائية بيد النبى ﷺ . وكان أسلوبه فى القضاء وتسوية النزاعات أنه ﷺ كان يحرص على أن لا يتحقق العدل الكامل فحسب، بل أن يلمس الناس بوضوح بذلك العدل الاسلامى . فكل القضايا كانت تطرح فى المحكمة العلنية . ولا نجد ولا مثالا واحدا للمحاكمة السرية . من المشهور أن احد اصحاب رسول الله ﷺ كتب إلى مشركى مكة قبيل الفتح أخبرهم باعتزام المسلمين الهجوم عليهم فعثر على هذا الكتاب . وكان هذا الأمر بمثابة التجسس لحساب العدو والخيانة مع الحكومة . ولو سألنا اليوم آراء الناس لقالوا : إن هذا النوع من القضية لا بد أن يحاكم فيها فى المحكمة السرية . إلا أن

الرسول عليه الصلاة والسلام اقام المحكمة فى المسجد علنا ، وسمع إلى الادلاء وقضى ما شاء الله أن يقضى . وكانت القاعدة الثانية من قواعد القضاء النبوى أن لا يقضى فى امر إلا بعد أن يسمع إلى ما عند الخصمين ، وأن لا يحرم أحد من حقه من الحقوق الاساسية إلا بعد اتاحته الدفاع عن نفسه بكل حرية . وإن القضاة الذين عينهم النبي ﷺ خارج المدينة كان ينصحهم بأن لا يقضوا فى خصومة بدون أن يسمعوا إلى ما عند اطراف الخصومة . وقد اغلق النبي ﷺ باب الشفاعة بكل شدة فيما يرجع إلى القضاء . وحدث بعد فتح مكة أن سرقت امرأة من قريش : تقول عائشة رضى الله عنها : أن قريشا اهمهم شأن المخزومية التى سرقت . فقالوا . من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا اسامة حِب رسول الله ﷺ ؟ فكلمه اسامة فقال : «أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام ، فخطب ، فقال : يا ايها الناس ، انما هلك الذين قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه . وإذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . وهكذا فقد سد النبي ﷺ باب الشفاعة فى الحدود ، بل لقد وضع قاعدة شاملة جعلت بموجبها كل الناس سواسية فى القانون . ومنع الناس من تضليل القاضى والحصول على الحكم لهم بهذه الطريقة . قال ﷺ : إنما انا بشر وانكم تختصمون إلى فلعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فلياخذها أو ليتركها .

ونلقى الآن الاضواء على السلطة التشريعية فان الدين الذى جاء به النبي ﷺ كان القانون فيه لله سبحانه وتعالى كمبدأ اساسى . وكذلك

كان حق التشريع فيه لله تعالى . ولـذلك لم يكن النبى ﷺ فيه مشرعا مستقلاً . انما كان منفذا لقانون الله ، وشارحاً ومربيا للناس على تنفيذه بالعدل والقسط . فبين للناس أولا ما هـو قانـون الله ثم شرح ذلك القانون فيما نجـده فى سنته ﷺ . فمثلا ورد فى القرآن حكم السرقـة حيث قيل : «السارق والسارقـة فاقطعوا ايـديهما» . وهـذا حكم موجز كل الايجاز مجمل كل الاجمال . ولكننا نجـد فى سنة الرسول ﷺ كيف نطبق هذا الحكم ، ومتى نطبقه ومتى لا نطبقه . وما هى السرقة ، وما هى ليست بسرقـة . وما هو نصابها الذى بموجبه يطبق هذا الحكم ، وما هى الأموال التى تدخل فى حكم السرقة والتى لا تدخـل فى حكمها . ولولا التفصيل الذى جاء فى السنة لما استطعنا أن نطبق حكم السرقـة بصورة صحيحة . ويتضح من ذلك أن النبى ﷺ لم يكن مشرعا مستقلا بل الله سبحانه وتعالى هـو المشرع ، وكان النبى شارحـا لقانـونـه بتكليف منه عز وجـل . فالـذى نسميه القانون الاسلامى هـو ما فى كتاب الله . وأما السنة فهى ما يحتوى عليه كتب الحديث .

والأساوب الـذى اختاره النبى ﷺ لتنفيذ القانـون كان يشتمل على ما يلى من المبادىء الرئيسية :

١ـ ادرؤا الحدود بالشبهات .

٢ـ إن الامام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة .

٣ـ أن يقضى للناس فى الخصومـات بالتراضى بينهم . ولهم أن يعفوا عن احد إذا ارادوا أو أن يستروا احـدا . وكل ذلك قبل أن يبلغ الأمر القاضى . فاذا بلغ القاضى فلا عفو ولا ستر ، فالقاضى يقضى فيه بما يراه من الحق .

٤ـ ونهى الرسول ﷺ بكل شدة من بذل اية محاولة فى التأثير على قضاء القاضى . وأمر القاضى بأن يقضى فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله وبما يراه من الحق .

٥ـ وقال ﷺ : القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة واثنان فى النار فاما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحكم فجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس عن جهل فهو فى النار .

وهناك أمور أخرى يجب أن تفهموها جيدا : لا نستطيع أن نفهم جيدا ما كان عليه عهد النبى ﷺ من شئون الحكم إذا جعلنا النظريات السياسية المعاصرة مقياسا لفهمها . فالدولة فى العصر الحاضر تتكون من ثلاث شعب : تنفيذية وقضائية وتشريعية . والقانون الاساسى للدولة تقرر ما لكل شعبة منها من الحدود والاختصاصات . هذا فى العصر الحاضر . أما ما كان عليه عصر النبى ﷺ أن المدينة المنورة قبل هجرة النبى ﷺ كان فيها لكل دار من دور القوم حيطان منفصلة كانت تشتمل على اراضيهم وحدائقهم وبيوتهم وسقائفهم التى كانت يجتمعون تحتها عند المهام . وكان يسودهم النظام القبلى . وكل قبيلة منهم كانت تتولى شئونها . ولما اسلم نفر من اهل المدينة فى بيعة العقبة فى مكة طلبوا منه ﷺ أن يعين لهم النقباء فعين النبى ﷺ لهم اثنى عشر نقيبا ممن كانوا اكثرهم صلاحا ونفوذا وثقة عند القوم . وكان من مسئولية كل نقيب منهم أن يستعين بمن فى قبيلته من وجهاء واشراف فيهم الصلاح والنجابة . يستعين بهم فى نشر الاسلام واصلاح الاخلاق وتسوية المعاملات . والذى آمن من اشراف القبائل ورؤسائها جعله

النبي ﷺ أيضا سيد قومه وشيخ قبيلته . ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أقر بنفس النظام . وكل ما كان هناك من فرق هو أن الاشراف المسلمين من المدينة حلوا مناصب الرئاسة محل الاشراف المشركين . وهذا التغير لم يحدث بالانتخاب أو التصويت . وانما كان من طبيعة الانقلاب الاسلامى أن يبتعد الاشراف المشركون ويتقدم الاشراف المسلمون فى كل مجال من مجالات الحياة . ولتسيير شئون المدينة كان النبي ﷺ يستشير أصحاب الرأى من المهاجرين والانصار . وهذا الوضع لا يشبه النظام التشريعى أو البرلمانى فى العصر الحاضر . والذين كانوا من ذوى النفوذ والرأى والامانة من المسلمين سواء أكانوا من المهاجرين أو الانصار كان النبي ﷺ يدعوهم كلما أهمه أمرما أو مسته حاجة . وهولاء لم يكونوا منتخبين من قبل العوام . ولم يكن هناك من انتخاب حسب المصطلح الحديث . إلا انهم كانوا على قدر من المعرفة والبصيرة والنفوذ عند العوام حيث لو اجرى لهم الانتخاب على الطريقة الحديثة لكانوا هم الناجحين بكل تاكيد . ثم لم يكن من الضرورى أن يُدعى كل واحد منهم عند كل ملمة أو معاملة . بل كلما كان الأمر يتطلب إلى التشاور استُشير من كان حاضرا فى المدينة . وكان يكفى حتى عند اهم القضايا واخطر المسائل أن ينادى مناد حضور الناس فى المسجد النبوى .

ولما اتسعت دائرة الدولة الاسلامية خارج المدينة عين النبي ﷺ ولاة وعمالا فى مختلف المناطق . وهم الذين كانوا حكاما يتولون الشئون الادارية ، وكانوا قادة يتولون شئون الجند . ولم يكن فى ذلك العهد جيش نظامى كجيوشنا . بل عامة المسلمين كانوا يخرجون إلى الجهاد متطوعين عندما يدعوهم الداعى . وكذلك عين النبي ﷺ قضاة فى

مختلف الاقطار ، وكانوا فى حرية تامة فى شئون القضاء . حيث لم يكن لعامل أو وال أن يتدخل فى شئونه . وكذلك استعمل النبى ﷺ نفرا من اصحابه على تعليم الناس دينهم . ولم تكن الغاية من التعليم تعليمهم القراءة والكتابة بل كان مراده أن يتلو المعلم للناس القرآن ، ويلقنهم معانيه ، ويبين لهم سنة الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان التعليم فى اغلب الاحيان شفاهيا . وكذلك المعلمون كانوا يتولون تربية الناس خلقيا وفكريا بنفس الاسلوب الذى كانوا تعلموها من النبى ﷺ . فمثلا بعد فتح مكة جعل النبى ﷺ عتاب بن أسيد واليا عليها وجعل معاذ بن جبل معلما فيها .

أما جباية أموال الزكاة فعين النبى ﷺ محصلين فى بعض النواح . وأمر رؤساء القبائل جباية أموال الزكاة فى النواح الأخرى . والاقطار التى استسلمت للدولة الاسلامية على الخراج لم يكن فيها من يجبى أموال الخراج . ولما فتحت خيبر وتصالح يهود خيبر مع النبى ﷺ على نصف زروعها كان النبى ﷺ يبعث احدا من اصحابه ايام الحصاد ، وكان يجعل كل الزروع نصفين . وكان يخيرهم ان ياخذوا ايهما ارادو . وجاء فى كتب التاريخ أن المسلمين لما أخذوا منهم الخراج على هذه الطريقة قال اليهود : على هذا العدل تقوم السماوات والأرض .

هذه هى الصورة الموجزة لنظام الحكم النبوى .

(٨ ابريل ١٩٧٨م)



كيف نطبق النظام الاسلامى
فى العهد الحاضر

مندوب اذاعة باكستان :

يا صاحب السماحة ، لقد وضحتم لنا فى الحلقة الاذاعية الأولى ما كان للرسول ﷺ من أساوب فى الحكم . ولكن السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام هو : لا نستطيع أن نجد اليوم شخصية مثل شخصية الرسول ﷺ تجمع بين جميع الكمالات والمكارم ، ولا نجد كذلك جماعة مثالية رباها النبى ﷺ بأروع التربية وامثلها كجماعة الخلفاء الراشدين والصحابة رضى الله عنهم ، ولا المجتمع الذى كوّنه النبى ﷺ فى منتهى النظافة ، ولا التربية الخلقية التى امتاز بها عهد النبى ﷺ . وإذا أردنا البدء فى تطبيق النظام الإسلامى فى المجتمعات المعاصرة الفاسدة فكيف لنا أن نصوغ الخصائص الاربعة ، التى ذكرناها فى الحلقة السابقة والتى تعتبر خصائص الدولة العصرية ، فى قوالب النظام الاسلامى ، ثم ماذا سيكون. الترتيب والتدريج الذى نأخذ بهما لأجل تحويل المجتمعات الفاسدة الحالية إلى المجتمعات الصالحة . الرجاء أن تتفضلوا مشكورين بالقاء الأضواء على هذه التساؤلات ؟

المودودى :

إن اول أمر يجب أن تفهموه جيدا فى هذا الصدد هو أن الشىء

الذى نصفه بالنظام الاسلامى لا تستطيع حكومة عديمة الايمان بالله وفاقدة السلوك المستقيم تسييره ابدا . فالادارة الخالية من خشية الله لا تستطيع تطبيق الاسلام . كذلك لا يمكن ان يقوم الاسلام بصورة سليمة فى مجتمع يكون وضعه الخلقى سيئا بصفة عامة . بل تبذل الجهود المستمرة لتخريبه . وكما تعلمون عشنا مدة من الزمن ، فى ظل نظام الملوك المسلمين فى شبه القارة الهندية ، الذى لم يكن إسلاميا بمعنى الكلمة ، ولكنه مع هذا كان القانون الإسلامى هو الذى كان يسود المجتمع . وكان أهل العلم والدعوة يتولون مهام تربية الناس وإصلاحهم. ولأجل ذلك فالمجتمع فى ذلك العهد الملكى على رغم انه لم يكن على مستوى المجتمع الذى كان فى عهد الرسول ﷺ وفى عهد الخلفاء الراشدين لم تكن حالة الناس الخلقية فاسدة فيه بدرجة الفساد الذى طرأ فيما بعد ، ولم يكن الناس كذلك على جهل بالإسلام بقدر ما أصبحوا جاهلين به فيما بعد . إن شرب الخمور كان عندهم نادرا جدا . وكذلك ـــ المحرمات الاخرى . وصحيح أن بعض الناس كانوا يزاولون المنكرات ويرتكبون الآثام ، ولكنهم لم يكونوا يرتكبونها على مرأى من الناس ومسمعهم .

وحينما قامت الحكومة الانكليزية أول ما قامت فى البنغال فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى كان الأمر بحيث كتب بعض الكتاب الانكليز :

«أن حوادث السرقة كانت منعدمة إذ كانت تقطع يد السارق . ولم يكن يتوقع أحد أن يكون المسلم كاذبا . بل لم يكن يتصور احد أن المسلم يشهد شهادة الزور أمام المحكمة . وعامة المسلمين كانوا مثقفين . بل كانت نسبة التعليم تبلغ مائة فى المائة» .

هذا ما بقى عليه المسلمون الى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى فى الهند .

ولما احتل الاستعمار الإنكليزى هذه القارة غير نظام القانون فيها، وغيّر نظام الاقتصاد فيها ، وبث فى نظامنا الاجتماعى آثارا سيئة جدا . وأصبح النظام الاسلامى للتعليم والتربية ، مثلا ، يعانى عجزا ماديا لأن الحكومة تخلت عن رعايتها ، وصارت المعاهد الإسلامية لا تسير الإ بمعونة الأثرياء من المسلمين ، وأغلقت الحكومة أبواب الرزق على خريجى تلك المعاهد . بينما النظام الانكليزى للتربية والتعليم الذى روّجه الانكليز فتح أبواب الرزق على مصراعيها فى وجه خريجيه فى جانب ، وفى الجانب الآخر شرع ذلك النظام بمبادئه وأسسه الهدامة يمحو من أذهان المسلمين التصورات القائلة بالايمان بالله والرسول واليوم الآخر . هذا ما ورثناه من العهد الإنكليزى .

ومن المؤسف جدا أنه لم تبذل محاولات جدية فى تبديل هذه الأوضاع بعد قيام باكستان ، بل لا أبالغ إذا قلت أن الفساد الذى طرأ على المسلمين فى مدة ثلاثين سنة مضت هو اكبر حجما واكثر اتساعا من الفساد الذى لحق بهم طيلة العهد الانكليزى . واذا قامت حكومة إسلامية اليوم وارادت تحسين تلك الأوضاع لانتوقع منها أن تقلبها ظهر المجن ، وتعود الى الحياة الاسلامية بكامل الوجوه بين عشية وضحاها .

ولكى نبدأ فى تطبيق النظام الاسلامى لا مناص لنا من أن يتولى زمام الحكومة أشخاص يكرسون جميع وسائل الاعلام ، وجميع أجهزة التعليم ، وجميع الانظمة الادارية فى نشر الوعى الاسلامى بين عامة المسامين وفى اصلاح حالتهم الخلقية على أوسع النطاق . وبقدر ما ينتشر

الوعى الاسلامى بينهم ، وبقدر ما تتحسن حالتهم الخلقية بقدر ما يتهيأ الجو للنظام الاسلامى الشامل .

وكنا نأمل بأن الحكومة التى ستتولى أزمة الأمور فى باكستان عقب انتهاء العهد الانكليزى سوف تتخذ نفس المنهج الذى أشرت اليه ، أى سوف تستخدم كل طاقات الوسائل الاعلامية فى انعاش العقائد الاسلامية ، وانشاء الخلق الاسلامى السليم فى عامة المسلمين ، وسوف تضع نظاما للتعليم والتربية يكوّن من عامة الافراد عنصرا صالحا للمجتمع الاسلامى ومواطنا مخلصا للدولة الاسلامية ، وسوف تقضى على نظام التعليم الذى ينشر الالحاد . وسوف تروج مكانه نظاما للتعليم يدعو الى الايمان بالله واطاعته ، وسوف تحاول جعل الناس يميزون بين الحلال والحرام . ولكن من سوء حظنا أنه لم يتحقق أمل من تلك الآمال الطويلة العريضة. ولو اتخذت الحكومة التى تولت أمور باكستان فى بداية الأمر كافة الوسائل والتدابير لتحقيق تلك الآمال لكان الوضع فيها غير الوضع الذى نحن فيه اليوم .

اذن لابد لنا اليوم من أن ننطلق من نقطة البداية . ولا مانع من أن تحاولوا تطبيق القوانين الاسلامية ، ولا مانع من تدونوا تلك القوانين حتى تستطيع محاكمنا أن تحكم بها . الا أنه لا يجوز الاكتفاء بهذا الأمر حتى نقول ان النظام الاسلامى قد قام . بل يجب علينا أن نركز اكثر ما نستطيع على ان ندرس التعليم الاسلامى فى جميع مدارسنا الابتدائية والثانوية وجميع كلياتنا وجامعاتنا ، وأن نستخدم جميع الوسائل الاعلامية فى تبصير المسلمين بما هو الايمان والاخلاق ، بدلا من أن نستخدمها فى نشر الرذائل والمنكرات والجرائم . ويجب علينا كذلك أن

نبين لعامة الناس ماهى الاخلاق الاسلامية وماهى الاخلاق الكافرة ، وما هو الفارق بين هذه وتلك . وسبق ان قلت ان النظام الاسلامى لم يقم الا فى مجتمع عُمّق فيه أساس الايمان قبل كل شىء ، ثم أقيم على ذلك الاساس الوطيد نظام الاخلاق بكامله ، ونظام الاجتماع بكامله ، ونظام الاقتصاد بكامله ، ونظام السياسة بكامله ، ونظام القانون بكامله .

واذا اردنا ان نعود الى ذلك العهد المثالى فلابد لنا ان نعود بنفس الاسلوب . لأننا اذا لم نعمق فى قلوب الناس دعائم الايمان بالله والايمان بالرسول والايمان بالقرآن والايمان بالآخرة لاتثمر جهودنا بمجرد تبديل القوانين . اذ انكم تعرفون جيدا كيف ان البوليس عندنا يملك مهارة فائقة فى اختلاق القضايا على الناس الابرياء ، بل انه قد حاز قصب السبق فى هذا الشأن لحد أنه يستطيع أن يتحدى جميع العالم فى اختلاق القضايا وتزويرها . وكذلك حدث عن الشهود ولاحرج . فانهم يعتبرون أن المحكمة ليست إلا مكان شهادة الزور . بل ان البوليس نفسه يصنع دائما فئة من الشهود الكاذبين مستعدة للشهادة الكاذبة فى أى وقت .

هذه الأمور فقط اذا اوضعتموها أمام أعينكم تستطيعون ان تقدروا من خلالها كيف يستقيم امر القانون الاسلامى بصورة صحيحة مادامت الأجهزة المسئولة عن نفاذ القانون بلغت من الفساد قمته .

ومع هذا وذلك علينا أن ندرس بكل دقة واخلاص اساليب ناجعة لتنفيذ قانون الاسلام . وبجانب ذلك يجب على ولاة الأمور الحاليين أو الذين يأتون فى المستقبل أن يدخلوا اصلاحات جذرية على الجهاز التنفيذى . كما يجب عليهم ان يصلحوا نظام التعليم والتربية ، وأن يستخدموا بجميع الوسائل لتعميق الايمان فى قلوب الناس واصلاح

سلوكهم وجعلهم يخشون الله فى السر والعلن ، وفى المنشط والمكره .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! «الشعب الباكستانى عبيد العصا» هذا المثل كثيرا ما يدور على ألسنة عامة الناس . إذن فهل النظام الاسلامى كذلك لن يقوم الا بالعصا ؟

المودودى :

ان للعصا ايضا مكانا فى النظام الاسلامى . ولكن ذلك فى آخر الأشواط . والترتيب الفعلى فى الاسلام هو كما يلى : تبذل الجهود أولا وقبل كل شىء فى اصلاح الاذهان والافكار بالتوجيه العام حتى تتخلى الناس عن الافكار الفاسدة . ثم تكرس الجهود اضعافا مضاعفة فى تحسين أخلاقهم حتى يتهيأ فى كل حارة وفى كل دار جماعة من الناس الصالحين يقدرون التحكم فى عصابات المجرمين ، ويتولون مهمة اثارة جوانب التدين والامانة والصلاح فى الناس . وهكذا يمكن أن ينشأ فى البلد رأى عام لا يسمح للمنكر أن يرفع رأسه . وإذا حاول أحد أن يتجه إلى الفساد فى مثل هذا الجو يجد فى طريقه العديد من العقبات والعراقيل . وإذا حاول أن يتجه إلى الصلاح والتقوى يجد المجتمع كله يشجعه على ذلك . ثم إن الاسلام يريد أن يكون مجتمعا يكون الناس فيه متراحمين متضامنين يواسى بعضهم بعضا ويناصر بعضهم بعضا فى حالات الشدة والبؤس . ويكون كل شخص فيه مؤيدا للعدل ومحاربا الظلم . ويكون كل شخص فيه يحرم نفسه من الطعام لو علم أن جاره نام جائعا . ثم ان الاسلام يقيم نظاما للاقتصاد يعتبر الربا حراما والزكاة

واجبة ، ويغلق أبواب الكسب الحرام ، ويؤمن لكل مواطن تكافؤ الفرص للكسب الحلال حتى لا يبقى شخص يحرم من ضرورات الحياة .

وبعد هذه التدابير كلها يأتى دور العصا . لأن الشخص الذى لا يستقيم أمره بدافع الايمان ، ولابالتربية الخلقية ، ولا بالتعليم ، ولا بتوفير العدل له ، ولا بتحسين الاوضاع الاقتصادية ، ولابالجو الصالح العام ان الشخص الذى لا يستقيم أمره بكل ذلك ليس له من علاج إلا العصا . فيستخدم عليه العصا بصورة علنية يكون عبرة لجميع الاشخاص الذين تراودهم النفس لارتكاب الجرائم وانتهاج طريق السوء .

ومن الخطأ الفاحش ان نتغاضى عن منهجية النظام الإسلامى ، ونتناول موضوع العقوبات فقط . وسبق أن قلت ان الاسلام يشرع ، قبل كل شىء ، بغرس الايمان فى قلوب الناس ، ثم يأخذ فى تقويم سلوكهم فيأخذ بكل ما يمكن من الأساليب والوسائل فى خلق رأى عام قوى لتنمية المعروفات وسحق المنكرات ، ويقيم نظاما للاجتماع والاقتصاد والسياسة يضيّق مجال العمل السيء ويسهل مجال العمل الحسن ، ويسد جميع الابواب التى بها تنمو الفواحش وتنتشر الجرائم . وأخيرا بعد كل ذلك هو يستخدم العصا (أى القوة) لقمع كل أمر خبيث يرفع رأسه فى المجتمع . ومن أظلم ممن يتحدث عن الاسلام فيجعل آخر تدابير الاسلام أولها ويمسح كل الحلقات الوسطانية مسحا ، اساءة لسمعة الاسلام وتشويهاً لديباجته الوضاءة .

مندوب الاذاعة :

فيما قلت عن الحكومة صحيح كل الصحة . فمادام لايتوفر للحكومة رجال يريدون بكل أمانة وصدق تطبيق الاسلام ، ويكونون

بمستواهم الخلقى والعلمى صالحين لهـذه المهمة الجليلـة لايظهر الاسلام بمظهره الكامل ولايثمر نتائجـه المرجوة . ولكن ينشأ السؤال هنا : ليس لتغيير الحكومة فى العصر الحاضر الا طريق الانتخابات . فهل تتفضلون واضعين أمـام عينيكم عهد النبى ﷺ ، بالقاء الأضواء على طريقـة تجعل نظام الانتخـاب الغربى المعـاصر منسجما مـع نظام الإسلام القائم عـلى الشورى . فالى أى حد وبأى أسلوب ؟

المودودى :

اعلموا جيـدا انـا مدعوون الى ان نتقـدم الى الامـام من الـوضع الذى نحن فيه الآن . وعلينا ان لانتغافل عن هدفنـا الذى نريد تحقيقـه . حتى لانضع خطوة الا الى ذلك الهدف شئنا أم أبينـا . ومما لابدمنـه ان تكون نقطة انطلاقنا هى الانتخـاب لأنه لايمكن أن نغير نظام الحكومـة أو رجال الحكومة فى بلادنا الا بهذه الطريقة . ولانجد طريقـة أخرى فى الوقت الحاضر نغير بها بصورة سلمية نظام الحكومـة . فعلينا ان نكرس كل جهودنا فى أن لانستخدم طرق سيئة فى الانتخاب مثل الاكراه ، أو التزوير ، أو استغـلال العصبيـات الاقليميـة أو الطـائفيـة أو النسليـة أو القبلية ، أو الدعاية الكاذبـة ، أو كيل السبـاب والفسوق للمنـافس ، أو شراء الذمم ، أو تزوير اوراق الناخبين ، أو تزوير النتائج الانتخابية . بل يعطى للنـاخبين حريـة كاملـة لينتخبوا من يشأوون من المرشحين الذين نزلوا فى المعركة الانتخابية .

ثم يفرض على الافراد أو الاحزاب عدم دخول الانتخاب الابطريقة معقولة : هى أن كل شخص أو حزب يدخل الانتخاب يقـدم للجماهير بيـانـه الانتخابى ومـا يستهدفـه من وراء نجاحـه فى الانتخـاب . ثم يترك

الأمر إلى النـاس لكى يختـاروا من المرشحين من يشاءون ويرفضوا منهم من لا يشاءون . ومن المحتمل أن لا ننجح فى دورة الانتخـاب الاولى فى تغيير أسلوب التفكير ومقياس الاختيار عند عامـة الناس . ولكن إذا بقى نظام الانتخاب مستقيما سليما ، كما قلت ، فلاجرم أن يأتى يوم ينتقل فيـه نظـام الحكم بكاملـه إلى رجـال من أصحـاب الامـانـة والصدق والاخلاص والايمـان . وبعـد ذلك نستطيـع أن نراجـع نظامنـا الحـالى للانتخاب ونختار مكانـه ذلك النظام المثالى من جديـد يلائم تمامـا منهج الاسلام للحكم .

والـذى أقصد من ذلك اننـا لا نستطيع أن نصل إلى هدفنـا الذى نستهدفه طفرة وبوثبة واحدة .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! هناك تساؤلات كثيرة تخالج الصدر ، وندعو الله سبحانـه وتعالى أن يسبغ عليكم الشفاء الكامل حتى نتمكن من جلسة أخرى مطولة معكم لمناقشة هذه التساؤلات .

ولكن أحب أن اعـرف منكم أن الـدعوة التى جعلتموهـا نصب عينيكم فى الحيـاة ثم جاهـدتم فى سبيلها طول الحيـاة وقـد وصلتم اليوم — والحمد لله على ذلك — مرحلـة تكاد تبلغ الدعوة هدفهـا المنشود . أحب أن أعرف منكم كيف تتصورون الأوضاع الحالية فى ضوء جهودكم التى بذلتموها حتى الآن : هل ان جهودكم صارت تثمر نتائجها المنطقية وهل قد حققتم فعلا انتصارا لدعوتكم ؟

المودودى :

هذا سؤال يصعب على جوابه . من عادتى أن لا أدعى دعوى

فارغة ولا أثنى على نفسى . ولكن الذى لا يخفى على أحد أن الجهود المتصلة التى بذلت فى ترويج الافكار الاسلامية — ولم اكن وحدى فى هذا الميدان بل كثيرون من غيرى كذلك استنفدوا جهودهم فى هذا المجال — أصبحت الطبقات المثقفة فى باكستان تحب الاسلام نتيجة لتلك الجهود . وصحيح ان اخلاق تلك الطبقات لم تبلغ المستوى المطلوب . الا ان حركة نشر الافكار الاسلامية جعلتها تفهم الاسلام بصورته الصحيحة الكاملة ، وكذلك اثارت فى قلبها حماسا عارما لاقامة النظام الاسلامى .

ان مؤسساتنا التعليمية التى أقيمت على نظام الميكياولى للتعليم والتربية نشأ فى المؤسسات نفسها بفضل تلك الجهود جيل ظل يحب الاسلام حبا عميقا ويفهمه فهما جيدا . وقد تواجهنا اليوم مسألة هامة وهى توعية الجماهير . وانتم تعرفون ان عامة الجماهير فى باكستان اميون . ونحن نتفكر هذه الايام كيف ننشر بينها الوعى الاسلامى . وبما أن اغلبية الناخبين فى باكستان اميون وهم دائما عرضة للتضليل من قبل المغرضين والهدامين ولأجل ذلك لاينعقد الانتخاب فى باكستان بصورة صحيحة وسليمة مهما حاول المثقفون عقده صحيحابنسبة مائة فى المائة .

ومن واجب شبابنا المثقفين وعلمائنا الكرام فى هذه المرحلة ان ينصرفوا كليا الى تبصير عامة الجماهير فى القرى والارياف والمدن ، وليس من الضرورى ان تكون عامة الجماهير قد تنال قسطا كبيرا من الثقافة فى المدارس والمعاهد . ولم ينتشر الاسلام فى عهد النبى ﷺ بالكتب ، بل انتشر بالدعوة والوعظ والتوجيه العام . ولذلك ليس من

الضرورى ان نجعل عامة الجماهير تقرأ وتكتب أولا ، ثم نفهمها الدين . بل علينا ان نأخذ بنفس الاسلوب الذى كان اخذ به النبى ﷺ واصحابه من تعليم الجماهير شفاهيا وتبصيرها بما فرضه الله عليها من فرائض وواجبات ، وتوعيتها بما هو الحلال والحرام ، وغرس خشية الله فى قلوبها ، وتحذيرها من عذابه الشديد على اقتراف الكبائر . وترغيبها الى الاعمال الصالحة ومكارم الاخلاق . ونؤمن بأن آيات الله واحاديث رسوله التى بدلت العرب ظهرا للبطن الى ما قبل اربعة عشر قرنا تستطيع أن تحقق الغرائب والمعجزات اليوم ايضا ، بشرط أن نستعين بها لاصلاح المجتمع وتزكية النفوس وتربية الجماهير ولا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها .

ومن الاهمية بمكان ان نقدم للناس توجيهات اصيلة من القرآن والسنة بما عليه من جلاء ووضوح . ونغرس فى قلوبهم الايمان بالله ورسوله ، ونقول لهم : انكم مهما استطعتم أن تستخفوا عن أعين الناس لا تستطيعون أن تستخفوا عن الله . ومن الممكن أن تنجوا بأنفسكم من عقاب الناس ولكنكم لا تستطيعون بحال ان تنجوا من عذاب الله . وهناك كتاب يكتبه الكرام البررة عما تعملون . وهو سوف ينطق عليكم بالحق . ولابد لكل نفس أن تذوق ذائقة الموت ، وتحضر يوم القيامة امام الله فيحاسبها على كل عمل من اعمالها . وليس من المعقول ان تتركوا الصلوات الخمس ، وتفطروا علنا فى رمضان ، وتهينوا بذلك دين الله ، وتدنسوا انفسكم بالآثام بكل جرأة ، وتحضروا الله يوم القيامة وانتم قد سلبتم حقوق الناس وانتهكتم اعراضهم وتعرضتم لكراماتهم وارقتم دماءهم ثم بعد كل ذلك تنالوا البراءة من عذاب الله . يمكنكم ان تمكروا فى الدنيا ما استطعتم . ولا يؤاخذكم عليه احد . ولكن كيف

لكم ان تخلصوا من مؤاخذة الله العلى القدير. وهو عليم بذات الصدور .

هذا وغيره من التوجيهات الربانية الصافية إذا قدمتم للناس وغرستم فى قلوبهم ترون بأم اعينكم كيف ينشأ الوعى السليم فى عامة السكان رويدا رويدا وكيف تنتعش فيهم المعنوية والاحساس النبيل .

وإذا علم الناس ، بعد ذلك ، بأنهم مدعوون من الله ورسوله الى أن يقيموا فى الارض النظام الاسلامى فلابد من أن يبحثوا عن الذين يصلحون لهذه المهمة الجليلة ، وينتخبوهم ، ولا يقعوا فى مصايد الدجالين الكذابين .

وعامة الناس يعرفون : الى اى طبيب يذهب احدهم اذا مرض ، أو الى اى محام يذهب اذا اقيمت عليه القضية فى المحكمة . وعلى غرار ذلك اذا انشأتم فيهم شعورا صحيحا بالاسلام وفهما سليما عنه لا جرم انهم يعرفون بأنفسهم بعد ذلك : اى المرشحين فى الانتخاب يصلح لاقامة النظام الاسلامى اذا نجح فى الانتخاب . ونفرض انهم يخطئون فى انتخاب المرشحين الصالحين فى معركة انتخابية . ولكنهم سوف لا يقعون فى نفس الخطأ فى المعركة الأخرى اذا استمرت جهود نشر الوعى الاسلامى بينهم على قدم وساق ، وبقى باب توجيه النقد مفتوحا على ما يعمله الحكام من اعمال منحرفة عن الاسلام ، بأسلوب علمى معقول . ونفرض ان ينجح فى الانتخاب اناس سيئون ويتولون ازمة الأمور ، ويحكمون بما يشاءون ، ثم يحاولون تزوير الانتخاب القادم فانهم اذا فعلوا ذلك سوف يواجهون باذن الله نفس الحركة الشعبية التى اطاحت بحكم بوتو ذلك الدكتاتور الظالم الفتاك .

وهناك أساليب اخرى لتبصير الجماهير بالاسلام ومقتضياته ، علينا

أن نعتنى بها بصفة خاصة . فمثلا فى بلادنا عدد كبير من الاتحادات العمالية . فعلينا ان نبث بين العمال افكارا توضح أن النظام الذى ينصف العامل هو الاسلام وليس الاشتراكية . ولا علاج لمشكلاته الا فى اتباع الاسلام . أما الاشتراكية فهى لم تنصف العمال فى الماضى ولن تنصفهم فى المستقبل . ومن الافضل ان يتولى مهمة نشر الوعى الاسلامى بين العمال شباب درسوا جيدا الانظمة الاشتراكية والشيوعية واوضاع الدول الشيوعية و الاشتراكية . وذلك بدلائل قاطعة وأمثلة واقعية لا قبل لاحد إنكارها . وهكذا نستطيع أن نحول الحركات العمالية بالتدريج الى الحركات الاسلامية . ونستطيع ان نوجد فى العمال شعورا صافيا يستطيعون بفضله معرفة قادتهم جيدا : هل هم اتباع ماركس ولينن أم اتباع الله ورسوله . ثم يترك لهم : هل هم يحبون ان يبعثوا يوم القيامة تحت لواء ماركس ولينن أو تحت لواء رسول رب العالمين .

وللفلاحين أيضا مسائل ومشاكل . فعليكم ان تبينوا لهم أن ليست لها حلول عادلة إلا فى الاسلام . ولما هاجر النبى ﷺ الى المدينة المنورة وجد أهاليها من الانصار يمارسون الزراعة . وكان قبل الاسلام نزاعات كثيرة بين أصحاب الاراضى وبين المزارعين . كما أن الذين كانوا يأتون بالغلات من القرى الى المدينة كان التجار والسماسرة يغشونهم أفحش الغش ويستغلونهم اسوأ الاستغلال فأصلح النبى ﷺ كل هذه المفاسد بحكمة ، وأقام المعاملات التجارية على أسس العدل والقسط . ولكم أن تراجعوا لمعرفة كل ذلك كتب الحديث والفقه ، وتستطيعون أن توضحوا كل ذلك للفلاحين وتقنعوهم على أن هذه المسائل التى هم يرزحون تحت وطأتها كان الاسلام قدم لها حلا سليما فيما مضى ، وهو الذى يستطيع أن يحلها اليوم ولا غير .

وبقدر مايتم عمل التوعية والتوجيه بقدر ما تتحسن الظروف ويتهيأ الجو لظهور نتائج الانتخاب الصحيحة . وبقدر ما يفوز أهل الدين والصلاح والتقوى فى الانتخابات بقدر ما تتقدم خطواتنا إلى النظام المثالى الذى شهده عصر الخلافة الراشدة .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! هناك ينشأ سؤال آخر وهو : «قد تفضلتم وقلتم انه يجب أن يقام النظام الاسلامى بالتدريج ، بل سوف يقام هذا النظام بالمراحل التدريجية» . وهل معنى ذلك أن القوانين السائدة والقوانين التى وضعت تحت النظام الديمقراطى الغربى لا تزال تسود خلال مرحلة التغيير التدريجية ؟ فهل لأمرين متناقضين أن يتواكبا جنبا مع جنب ؟

المودودى :

لامناص لنا من أن نبدل نظام الحياة الذى ساوره الفساد ودخله التخريب منذ عهود طويلة بالتدريج . ولا يمكن أن نستبدل النظام التربوى الاستعمارى الذى وضعه الإنكليز بالنظام التربوى الإسلامى بلمحة من البصر . وكذلك اوضاع الناس الخلقية التى تردت إلى الانحطاط والتدهور فى سنين طويلة بالافلام السينمائية الماجنة ، والصور القبيحة ، والاغانى الخليعة الرائجة ليلا ونهارا ، والمجتمعات المختلطة بين النساء والرجال ، ومناولة الخمور ، وممارسة القمار وما إلى ذلك من اعمال السوء والانشطة المحرمة ، لا يمكن تبديل اخلاق الناس وعاداتهم بعد كل ذلك بين عشية وضحاها . ولكن مع هذا وذاك علينا أن نبدأ من يومنا هذا فى بذل الجهود واستنفاد المساعى لتبديل الاوضاع

و اصلاح المفاسد . ولا يجوز لنا التأخير فى ازالة كل منكر من المنكرات يمكن لنا أن نزيله بأسرع خطوة واقرب فرصة . ونفس الأسلوب نختاره فيما يتعلق بالانظمة والقوانين . فعلينا أن نلغى من قوانين عهد الكفر والانظمة التى تخالف الاسلام ما نقدر على الغائه على فوره بدون ما تأخيرأو تلكؤ . ثم بقدر ما نتمكن من تنفيذ القوانين والشرائع الاسلامية لا نؤجل تنفيذها ولا ليوم واحد . إذ أن الحكومة التى تؤمن بالاسلام بكل اخلاص وصدق والتى تستهدف اقامة الاسلام فى الحياة الواقعية هى مدعوة إلى ادخال الاصلاحات الجذرية فى جميع الدوائر والشعب . ومن الخطأ القول بأن لا تنفذ القوانين الاسلامية ما دامت لا تستكمل الإصلاحات . ومما لا شك فيه أن قضاتنا فى المحاكم إذا شرعوا فى تحكيم القوانين الاسلامية فى القضايا والنزاعات والمرافعات بدلا من القوانين غير الاسلامية يقتنع الناس من تلقاء أنفسهم بأن هذا البلد لن يسوده نظام الكفر فى المستقبل بل تحتم عليه نظام الاسلام . فهذا الاجراء نفسه سوف يشكل حلقة رئيسية من حلقات تبديل اذهان الناس واتجاهاتهم . الامر الذى تساعدنا على توطيد دعائم النظام الاسلامى .

ولكم أن تقدّروا صحة ما قلته من خلال تاريخنا . إن الإنكليز لما الغوا قوانيننا السائدة فى تلك الأيام ، واستبدلوها بقوانينهم ، وجاء قضاتهم فى المحاكم الابتدائية والمحاكم العليا يحكمون الناس بموجب تلك القوانين الاستعمارية ظلت مقاييس القوم واتجاهاتهم تتغير وتأخذ فى التقلب . فأصبح الحرام حلالا والحلال حراما لديهم . والأمور التى اعتبرتها القوانين الانكليزية مشروعة فيما يتعلق بالاخلاق أو الاقتصاد أو الاجتماع أو غير ذلك من شعب الحياة راجت فى حياتنا الاجتماعية ولو كانت هى منكرات وقبائح من وجهة الاسلام . بل أصبحنا نحن

المسلمين انفسنا نصف قوانيننا بالرجعية والتخلف . حيث قد غرس فى قلوبنا بأن قانون الاسلام لا يتجاوز شؤون النكاح والطلاق والارث التى سميت بالاحوال الشخصية ، ولا يصلح لتسيير الشؤون الدنيوية الأخرى .

ولكن اليوم إذا أصبح الناس يرون بأم اعينهم أن القوانين الاسلامية هى التى تحكم البلد وتقرر مصيرهم فى المحاكم فلا جرم أن التاريخ يعيد نفسه وتتبدد سيطرة القوانين الانكليزية على الأذهان . وعلى هذا ليس من الصحيح أبدا أن نقول : اننا ندخل الاصلاحات الاسلامية فى شعبة واحدة أو فى بعض الشعب بينما تبقى الشعب الاخرى تسير بموجب القوانين القديمة . هذا الترقيع لا ينفع أبدا .

خذوا مثلاً موضوع الانتخاب . إن الانتخاب فيما يبدو تعتبر شعبة واحدة من شعب الحياة . ولكن اصلاح هذه الشعبة يؤثر تاثيرا كبيرا فى سائر شعب الحياة . ان طريقة الانتخاب التى راجت ولا تزال فى بلادنا هى تتلخص فى أن المرشح لا مانع له من أن يبذل للجماهير الوعود الكاذبة الخادعة ، ولا مانع له من ذر الرماد فى عيونها ، وتحميقها واستغلال مواطن الضعف فيها ، وشراء ذممها بالمال ، وممارسة جميع أنواع الضغط لأجل الحصول على الاصوات ، وتجريح المنافسين بأسوأ التهم ووصفهم بأشنع الصفات ، ونشر العصبيات القبيلة والاقليمية بكل وقاحة ، واثارة الفتن والنزاعات الطائفية ، وما إلى ذلك من الاساليب والمكايد والمصايد لأجل السيطرة على رقاب الناس . فعليكم أن تغيروا كل ذلك رأسا على عقب . وامنعوا استخدام الأساليب غير المشروعة فى الحملة الانتخابية ، ودعوا الناس ينتخبون من يريدون بكل حرية وبدافع من ضميرهم وإيمانهم . وثقوا بعد ذلك أن تحسين النظام الانتخابى

سوف يحسّن الجوانب العديدة من الحياة ، حيث يتعذر بذلك على رجال سيئين فوزهم فى الانتخاب والوصول إلى الحكم . كما ترتفع بذلك نسبة نجاح الصالحين فيه ·

مندوب الاذاعة :

نملك طائفة من الوسائل والأساليب لتبليغ الاسلام وترويجه · وماذا علينا المزيد فى هذا المجال ؟

المودودى :

كتبت فى هذا الشأن الشىء الكثير فى مؤلفاتى ومن الصعب على فى الوقت الحاضر أن اكرر المكتوب ·

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! نرجو أن تتفضلوا بتوجيهنا إلى ما هو المطلوب من اذاعة باكستان لأجل تحقيق هذه الغاية فى الوقت الحاضر ؟

المودودى :

من الضرورى جدا لاستخدام اذاعة باكستان فى نشر الاسلام وترويجه، البحث عن اشخاص كفوئين يختارون موضوعا من مواضيع الاسلام ويدرسونه دراسة عميقة ثم يأتون الاذاعة ويلقون منها ذلك الموضوع · فمثلا يجب أن يكون هناك مجموعة من الاشخاص الذين تختارونهم بكل دقة وحذر يتولون شرح العقائد الاسلامية وغرس كل ناحية من نواحيها فى اذهان الناس بكل جدارة . وإذا جاء شخص واحد فقط يتولى هذا الموضوع يمل منه المستمعون وتتضجر نفوسهم . ولكن إذا كان هناك طائفة منوعة من العلماء والخبراء يتكلم كل واحد

منهم على طريقته ، ويناقش الموضوع على سليقته فمن المؤكد أن يستمع الناس اليهم بكل رغبة وشوق وانتظار . فأول عمل أساسى فى هذا الصدد هو غرس العقائد الاسلامية الصحيحة فى اذهان الناس وتثبيتهم على الايمان بها والعض عليها بالنواجذ . هذا العمل الاساسى هو الذى يغير ما بأنفسهم ، وهو الذى يجلبهم إلى معرفة حقائق الاسلام والاستمساك بها .

وهكذا يجب اختيار مجموعة أخرى من الناس يصلحون ثقافة واسلوبا لالقاء الاحاديث والكلمات والدراسات عن أهمية العبادة فى الاسلام ، وفوائدها فى الدين والدنيا ، واضرار تركها فى الدنيا والآخرة . ويتبعها طائفة ثالثة من أهل العلم والدعوة لعرض مبادىء الاسلام الخلقية وأحكام الاسلام وتعاليمه على الناس . ويتولى جماعة رابعة من المصلحين الاجتماعيين توجيه النقد إلى المنكرات والفواحش المنتشرة فى المجتمع بأسلوب بليغ حكيم يستشعر به كل فرد من أفراد المجتمع بفداحة الاوساخ الخلقية التى يتدنس بها ليل نهار .

وكذلك ينبغى أن ينهض جماعة من أهل العلم بصفة خاصة ليتناولوا الكبائر واحدة ويركزوا عليها مرة بعد أخرى ، ويشرحوا للناس مضارها ، ويثيروا فى قلوب الناس الاحساس القوى بأن الكبائر كيف تفسد عليهم الدنيا والآخرة ، وكيف تدفع مرتكبيها إلى العذاب المهين يوم القيامة . فمثلا يأخذون موضوع قتل الانسان ، ويعدّدون للناس نتائجه القبيحة ، ويوضحون لهم بأن القاتل الذى يقتل مثلا عشرة اشخاص فى الدنيا لا يستطيع القضاء فى الدنيا أن يعاقبه إلا بعقاب واحد وهو الاعدام . أما عقاب قتل البقية من المقتولين التسعة فلا ينال العقاب عليه فى هذه

الدنيا . وإنما المحكمة الالهية يوم القيامة هى التى تعاقبه على ذلك بعقاب يتناسب مع فداحة الجريمة . لأن القضاء البشرى لا يتناول إلا فعل القتيل . وعليه يعاقب المجرم باعدامه فقط . ولكن الخسائر والاضرار التى سوف تترتب من ذلك الفعل على أسرة القتيل واجياله القادمة لا تستطيع محكمة من محاكم الدنيا ادراك نوعية تلك الخسائر والاضرار ومدى استمرارها إلى الاجيال المتلاحقة . والله سبحانه وتعالى هو الذى يعرف ذلك بعلمه المحيط واحاطته بكل شيء فى السموات والأرض وبكل ما تقدم وتأخر . وسوف يعطى للمجرم جزاءه الأوفى على فعله بكل آثاره ونتائجه .

وارى أن اذاعة باكستان إذا استمرت فى نشر حلقات متسلسلة مما اشرت إليه من المواضيع بواسطة رجال اكفياء يمارسون الأسلوب البليغ الأخاذ فى احاديثهم يحدث خلال ستة اشهر فقط تغيير كبير فى أفكار الناس وعاداتهم . إذ أن الأجهزة الاذاعية وسيلة فعالة لتوعية الجماهير . والجماهير مولعة بها لحد أن الفلاح ــ مثلاً ــ لا يحب حراثة أرضه إلا ويصحبه جهاز الترانزستور . وبما أن الجماهير لا تستمع اليوم من الراديو إلا أغانى السيدات ، بل أغانى الافلام الماجنة بالطلب وبدون الطلب ، إذا اصبحت نفس الجماهير لا تستمع من الراديو إلا أحاديث الدين بلغة سهلة وبأسلوب رائع فلا نتوقع منها فى المستقبل أن تغلق الراديو بمجرد أن يقارع آذانها حديث عن الله ورسوله .

واقترح أن تبدأوا فى صدد البرامج الدينية من الحكايات والوقائع الصحيحة من عهد الرسالة وعهد الخلافة الراشدة وعهد الصحابة . وكذلك حكايات وسير الاسلاف الصالحين التى تأخذ بمجامع الجماهير

ويتبعها البيان بعقائد الاسلام ومبادىء الاخلاق . وهكذا تستطيعون رويدا رويدا أن تشوقوها للاستماع إلى التعاليم الاسلامية وادراك معانيها وفهم مقتضياتها .

ولا تجدون ولا شخصا واحدا من هؤلاء القرويين البسطاء يخلو من حبه العميق للرسول ﷺ وتفدية نفسه له ، وتستطيعون أن تقولوا لهم : يا مسلمين ! إن الرسول الذى تحبونه هذا الحب العميق عليكم أن تتبعوه كذلك وتعضوا على احكامه بالنواجذ . وكذلك هل من مسلم من عامة الجماهير لا يؤمن بالبعث بعد الموت . فعليكم أن تشرحوا لهم من اذاعتكم ماذا سيواجهونه بعد الموت . خذوا جميع المعلومات عن كل ذلك من كتاب الله وسنة رسوله . وليس من المستبعد أن عامة الناس إذا سمعوا النتائج التى سوف تترتب على اعمالهم التى عملوها فى الدنيا بعد انتقالهم من الدار الفانية إلى الدار الباقية ترتعد له فرائصهم وتقشعر له جلودهم . بل انهم إذا سمعوا ماذا يجرى على الانسان السىء فى القبر من عذاب وحساب تتفتت اكبادهم وتذوب قلوبهم من كمد .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! نحن فعلا ننشر من الاذاعة البرامج الخاصة بالفلاحين والمزارعين والعمال والكادحين والنساء والاطفال . فلا ننشر لهم منها الاغانى ولهو الحديث فقط . ومن الجائز أن لا تكون تلك البرامج على ما يرام ؟

المودودى :

اقول : إن معظم برامج الإذاعة تتضمن الاغانى والموسيقا . وشيئا يسيرا عن الدين ومقتضياته واخلاقه . وعلى هذا من اللازم أن

تقللوا من القسم الأول من البرامج شيئا فشيئا وأن تزيدوا فى القسم الثانى منها . وإذا افهمتم الناس دينهم ومسئولياتهم تجاهه جيدا بنصاعة البيان وروعة الاسلوب لا يبقى الناس متعودين على الاغانى والمزامير . وإذا حاولوا أن يسمعوها من الاذاعات الخارجية فان ضميرهم الحى سوف ينبههم على ذلك المنكر ويستشعرون بدون ما تأخير بأنهم سوف يحاسبون على ذلك يوم القيامة حيث تشهد عليهم آذانهم بما سمعوا بها وتشهد عليهم السنتهم وارجلهم بما كانوا يعملون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

(٩ ابريل ١٩٧٨م)



حوار حول تطبيق الشريعة الاسلامية في باكستان

مندوب اذاعة باكستان :

ايها المستمعون الكرام ، انا مندوب اذاعة باكستان اخاطبكم من مكتب سماحة الأستاذ أبو الاعلى المودودى ، حيث أن سماحته جالس فيه بين الوف من الكتب . ولا يخفى عليكم أن سماحته يعتبر فى العالم المعاصر مرجعا موثوقا فيما يختص بالدراسات الاسلامية والفقه الاسلامى . ومن سعادة راديو باكستان ومستمعيه الكرام أن سماحة الأستاذ اتاح لهم الفرصة على مرضه لنتباحث معه فى موضوع القوانين الاسلامية التى نفذت فى باكستان . وانا على ذلك اشكر سماحته جزيل الشكر وخالص التقدير . وإليكم ما جرى بينى وبين سماحته :

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! اجد فى نفسى شيئا من الجرأة لاوجّه إليك طائفة من الاسئلة تتضمن موضوع تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان . وانا على يقين أكيد بأن ملاحظاتك حول هذا الموضوع ستزود المستمعين بمعلومات نافعة وتوجيهات سليمة .

يا صاحب السماحة ! أرجو أن تتكرم بالقاء الاضواء على النتائج الفورية التى يمكن أن تظهر فى المجتمع الباكستانى بعد أن طبق رئيس

جمهورية باكستان القوانين الاسلامية فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول . وهو يوم ولادة الرسول ﷺ .

المودودى :

إن النتائج الفورية التى نتوقع ظهورها من اعلان الرئيس للقوانين الاسلامية هى اقتناع الناس بأن باكستان اصبحت دولة اسلامية لا يطبق فيها إلا القوانين الاسلامية . وهذا الاقتناع يجعلهم يستعدون فكريا للتكيف مع الوضع الجديد . ثم أقول لكم بصراحة . إن القوانين أو التدابير الاخرى لاصلاح المجتمع لا تعطى أبدا النتائج الفورية ، بل إن نتائجها لا تظهر إلا بعد الاستمرار فى الممارسة الفعلية .

مندوب الأذاعة :

يا صاحب السماحة ! من الواضح البين أن العالم اليوم أصبح متقاربا جدا . ولا يتخذ اجراء قانونى هام أو لا يحدث أمر ذو بال فى مكان ما إلا وتصل آثاره إلى البلدان الأخرى . اذن فما هى الآثار التى سوف تترتب على باكستان اولا ، وعلى البشرية ثانيا ، بعد تطبيق القوانين الاسلامية فى باكستان ، اقصد آثارا فورية وبعيدة الاغوار ؟

المودودى :

من الآثار الفورية على العالم الاسلامى أنه قد عرف بأن باكستان دخلت اليوم فى مرحلة تطبيق الاسلام الذى كان سبب انشائها . ولذلك نرى أن جميع المسلمين فى العالم رحبوا ترحيبا حارا بالاجراءات الاسلامية التى اتخذت فى باكستان . أما العالم غير الاسلامى فهو يسىء الظن بالاسلام منذ ذى قبل . ويعتبره نظاما رجعيا غير صالح للتطبيق

فى العصر الحاضر . وعلى هذا لعله يرى أن باكستان رجعت قهقهرى فلا بد لمحاربتها فى جميع المجالات . ولكننا لانبالى بذلك ولا يهمنا موقف الناس من باكستان الاسلامية . بل علينا أن نأخذ بما نؤمن به سواء أيرضى منه احد أو لا .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! إن جميع المذاهب الفقهية تتفق على الشريعة الاسلامية كنظام وهل من الممكن أن تتفق تلك المذاهب على المواد القانونية التفصيلية التى تستمد من الشريعة ؟

المودودى :

انكم تعلمون جيدا ان الحكومة انشأت مجلس العقيدة الاسلامية . والغرض من انشائه أن القوانين الاسلامية التى تريد الحكومة تطبيقها يتولى المجلس أولا تدوينها والمصادقة عليها ، ثم تحويلها إلى الحكومة لأجل صوغها فى القوالب القانونية ومن ثم تطبيقها فى البلد . والمجلس يضم العلماء من جميع المذاهب الفقهية . وان المشاريع الاسلامية التى قدمت من قبل المجلس حتى اليوم لا بد من أن يكون المجلس قد اتفق عليها ، وصادق عليها كل عضو من اعضائه . وعلى هذا فان تساؤلكم لا يثير أى تعقيد فى هذا الباب .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! هل يجوز الابقاء على الضرائب العديدة كضريبة الدخل ، وضريبة العقار ، وضريبة المبيعات ، والجمرك ، والرسوم بعد تنفيذ قانون زكاة الأموال والزروع والمواشى ؟

المودودى :

عليكم أن تفهموا جيدا أن أموال الزكاة لا تصرف الا على الفقراء والمساكين فى المجتمع . وعلى الابواب التى وردت فى القرآن وهى لا تصرف على تسيير شئون الدولة . بل المصارف التى تحتاج اليها الدولة لتسيير شؤونها تحصل من الضرائب العديدة . نعم ، مادام قانون الزكاة يطبق الآن فان الأمر فى حاجة إلى مراجعة نظام الضرائب الحالى وجعله منسجما مع نظام الزكاة . أما القول بأن أموال الزكاة هى التى تغطى جميع تكاليف الدولة فليس بصحيح . لا بد من فرض الضرائب الأخرى .

مندوب الاذاعة :

سؤال عاجل يخالج الذهن ، هو : إن الموارد التى كانت تغطى تكاليف الدولة فى صدر الاسلام هل إن نفس الموارد تروّج اليوم أيضاً ؟ وكذلك أرجو أن توضح لنا أيضاً أن الوجوه التى تنفق فيها أموال الزكاة بموجب كتاب الله منها باب يسمى «فى سبيل الله» . فما هو المراد من هذا الباب (أى وفى سبيل الله) . واحب أن اسألك أيضا أن سيدنا عمر فاروق رضى الله عنه كان قد الغى فى عهده باب «المؤلفة قلوبهم» هل يجوز لنا أن نلغى هذا الباب اليوم ؟

المودودى :

إن سؤالكم يشمل ناحيتين ، وجوابى عن الناحية الاولى : ان نظام الحكومة فى صدر الاسلام لم يكن معقدا مثلما نجده اليوم ، ولم يكن متشعبا مثل تشعبه اليوم . ولذلك فان الجزية التى كانت تفرض على غير المسلمين ، أو الخراج الذى كان يجبى من اراضيهم ، أو الغنائم التى كان يفوز بها المسلمون فى الحروب ، كل ذلك كان

يكفى لتغطية مصارف الدولة وتسيير شؤونها ، ولم تكن فى ذلك العهد هيا كل كبيرة للدوائر الحكومية ، ولا أصحاب المناصب الكبيرة ، ولا الموظفون الذين كانوا ياخذون رواتب باهظة . ولذلك لم تكن الحكومة فى حاجة إلى فرض الكثير من الضرائب . وليس من اللازم اليوم أن تكتفى الدولة بنفس الموارد التى كانت لها فى تلك الأيام . بل لها اليوم أن تتوسع فى هذا النطاق وتتخذ الوسائل الأخرى لتسيير أمورها على أحسن ما يرام .

وجوابى عن الناحية الثانية أن باب «فى سبيل الله» يشمل النشاطات الخيرية والمصالح العامة عند جماعة من الفقهاء . كما أن عند الجماعة الأخرى لا يشمل ذلك الباب إلا الجهاد . أى أن الشخص الذى يذهب للجهاد يجوز دعمه من أموال الزكاة إذا كان فى حاجة إلى الدعم . ولكن هذا الرأى لا يتفق عليه جميع الفقهاء . وارى أن هذا الموضوع يطرح فى مجلس العقيدة الاسلامية ، ويناقش فيه علميا ، ويصدر فيه قرار متفقا عليه . وانا لا استطيع ان أقول فى هذا الموضوع اكثر من أن الأمر فيه رأيان عند الفقهاء . والأمر الاخير الذى قلتم عن سيدنا عمر فاروق رضى الله عنه فبيانه أن بعض الناس فى عهد الرسول ﷺ كانوا قد دخلوا فى الاسلام لظروف ارغمتهم على ذلك . ولم يكونوا مستقيمين فى الاسلام . فنظرا لتأليف قلوبهم وتشجيعهم صرفت اليهم أموال الزكاة . وفى أيام سيدنا عمر فاروق رضى الله عنه لما جاءوه يطالبون بسهمهم قال لهم عمر رضى الله عنه : ان رسول الله ﷺ كان يعطيكم ليؤلفكم على الاسلام . فأما اليوم فقد اعز الله دينه واغنى عنكم ولم يعد هناك حاجة لتأليفكم .

وليس المراد من ذلك أن الباب الذى ورد فى القرآن الكريم عن المؤلفة قلوبهم قد الغى بصلة دائمة . وأرى أن هذا الموضوع كذلك يجب أن ينظر فيه مجلس العقيدة الاسلامية . وهو الذى يقرر : هل هذا الباب قائم أو ساقط .

مندوب الاذاعة :

يا سماحة الأستاذ ! أرجو المزيد من الايضاح لهذا الباب .

المودودى :

بيان هذا الباب كما يلى :

أولاً : قد يكون هناك اناس يحاربون الاسلام فيمكن من منعهم ذلك لقاء مساعدة مالية . كما جاء عن ابن عباس أن قوما كان ياتون النبي ﷺ فان اعطاهم من الصدقات مدحوا الاسلام وقالوا : هذا دين حسن وان منعهم ذموا وعابوا .

ثانياً : شخص دخل حديثا فى الاسلام . وبما أن مجتمعه الذى كان يعيش فيه تغير ، وانضم الى المجتمع الجديد يجوز لنا أن نؤلف قلبه بالاعانة المالية ، ونواسيه حتى يعيش بدينه الجديد ثابت الايمان مستقيم السلوك مرتاح البال .

ثالثاً : فئة من الناس مصابة بداء النفاق فيجوز اعطاءها لمنعها من النفاق وتثبيتها على الايمان . ولهذه الاغراض وغيرها قد ذكر الله سبحانه وتعالى باب المؤلفة قلوبهم فى كتابه .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! هل إن «القذف» ينطبق حكمه على قضية

الانحراف الجنسي فقط ، أو يجوز انطباقه على جميع أنواع البهتان والرمى ؟

المودودى :

إن القذف الذى ورد حده فى القرآن الكريم وهو ثمانون جلدة هو لا ينطبق إلا على حالة رمى شخص شخصا آخر بالزنا . وأما الأنواع الاخرى من البهتان والرمى فيجوز معاقبة من يفعل ذلك بقانون آخر من باب التعزير . أما حد القذف فلا يعاقب به إلا من رمى شخصا بالزنا كذبا وزورا .

مندوب الاذاعة :

يا صاحب السماحة ! إن أى حد أو تعزير أو عقاب يقرر لشخص بموجب القانون الاسلامى لا يقرر إلا بعد الشهادات الصحيحة الصادقة . فهل يمكن أن يتوفر هذا المستوى من الشهادات فى مجتمعنا اليوم أى الشهادات التى تعترف بها الشريعة الاسلامية ؟

المودودى :

مما لا شك فيه أن مجتمعنا يسوده الفساد والانحراف منذ زمن غير يسير . ويوجد عندنا بكثرة اشخاص يشهدون شهادة الزور . كما أن البوليس نفسه يعد هذا النوع من الشهود . وكذلك ان الكثير من الناس يعتقدون أن لا مانع لديهم من الكذب وشهادة الزور أمام القضاء . ولكنى اعتقد مع هذا وذلك اننا إذا طبقنا القوانين الاسلامية فى جانب ، وفى الجانب الآخر ركزنا عنايتنا على خلق الاحساس القوى فى الناس بأن القانون الذى يطبق عليهم اليوم هو قانون الله عز وجل ، وانهم إذا خالفوا هذا القانون ولم يحسنوا النية به ، وشهدوا كالعادة شهادة الزور فانهم يعاقبون فى الدنيا بموجب هذا القانون بدون هوادة . وكذلك

يعاقبون عقابا شديدا يوم القيامة . وقال النبى ﷺ : «عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله» . فهذا الشعور إذا عمقنا فى اذهان الناس على اوسع النطاق فلا اخال أن الناس يتقدمون إلى المحاكم بشهادات الزور بدون ما حرج . كما هو الوضع الآن . ثم اضيف إلى ذلك أن تنظيم البوليس من جديد امر ذو اهمية بالغة يجب اصلاح البوليس كما يجب اصلاح عامة الناس بواسطة الوسائل الاعلامية . وخاصة بالراديو . إذ أن هذا الجهاز يستمع إليه حتى الفلاح فى حقله . ولا نستطيع ايصال صوتنا إلى عامة الناس إلا بالراديو لأن الصحف أو الوسائل الأخرى لها نطاق محدود لا تتجاوزه . وعلى هذا إنى اناشد القائمين على اذاعة باكستان أن يستخدموا هذا الجهاز المؤثر الفعال لنشر الاسلام وتعميقه فى قلوب الناس مشكورين .

مندوب الاذاعة :

ما هو الشرط الذى يجعل الشهادة موثوقة . هل يكفى فى هذا الصدد صدق القول ، أو يضاف إليه استقامة السلوك وحسن السيرة ايضا ؟

المودودى :

إن المصطلح الذى استخدمه الاسلام للشهادة هو أن يكون الشاهد عادلا . والمراد من الشاهد العادل الشخص الذى يشهد بالقسط والانصاف ، ولا يكذب عمدا ، ولا يخفى امرا صحيحا ، ولا يذكر شيئاً غير صحيح . وينظر إلى سلوكه قبل الشهادة هل هو نزيه أو غير نزيه . وخلال الشهادة أيضا يتحرى القضاة من بيانه ولهجته وتعابيره : هل هو صادق فيما يقول أم كاذب . ويجرى عليه الاستنطاق لكشف ما ادلى به . ومن أجل ذلك نأمل أن تتوفر الشهادات الصحيحة التى تساعدنا فى تطبيق الحدود .

مندوب الاذاعة :

ماذا يكون مصير المحاماة والمحامين عندنا بعد تطبيق القوانين الاسلامية ؟

المودودى :

يتبدل لون المحاماة ولا تنتهى مهنة المحاماة . اقصد أن دور المحامى هو بمثابة دور المفتى . إذ أن المحامى مدعو إلى أن يوضح للقضاء القانون ومراده وفحواه . وهذه المهمة كان يقوم بها فى الماضى المفتون . لأن القضايا التى تعرض على القضاء كان اصحاب الفتيا يعطون فيها فتاوهم ، ويوضحون رأى الاسلام فيها . وهذه هى المهمة التى سوف يقوم بها المحامون عندنا فى المستقبل . ومعنى ذلك أن المحاماة لن تنتهى بنفسها . وانما يحصل التغيير فى اسلوب ممارستها .

مندوب الاذاعة :

هل لشاهد الزور عقاب فى الشريعة ؟

المودودى :

نعم ، إذا ثبت عن شخص أنه شهد شهادة الزور فان الحكومة الاسلامية تعاقبه بقدر جريمته . أى إذا كان شهد زورا فى قضية من قضايا الحدود يعاقب عقابا شديداً . وللحكومة الاسلامية أن تضع قانونا فى هذا الباب . لأن هذا النوع من الجرائم يدخل فى نطاق القوانين التعزيرية . ويجب على الحكومة أن تضع قانونا لرجل شهد شهادة الزور فى حد من حدود الله يحاسبه حساباً شديداً ، ويعاقبه عقابا اليما يكون ة للناس وردعا [illegible] من اداء الشهادات الكاذبة أمام المحاكم .

مندوب الاذاعة :

هناك مصطلحات تستعمل فى باب الزكاة كمصطلح «الأموال الظاهرة» و«الأموال الباطنة» فالرجاء شرحها مشكورين .

المودودى :

المراد من الأموال الظاهرة أموال تظهر للناس ويطلعون عليها بسهولة كالبضائع الموجودة فى المحلات التجارية أو المنتوجات الجاهزة فى المصانع ، والأموال المودعة فى المصارف . وكذلك الحقول فأن زروعها ظاهرة بينة . أما الأموال الباطنة فهى الأموال التى يحرزها الرجل فى بيته سواء أكانت من الحلى لزوجته أو بناته ، أو النقود . فان كل شىء من هذا القبيل يعتبر من الأموال والاملاك الخفية . هذا هو الفرق الاساسى بين الأموال الظاهرة والأموال الباطنة . أى المال الباطن ما خفى عن اعين الناس . والظاهر ما ظهر لهم وتقع عليه الاعين بصفة عامة .

(٦ مارس ١٩٧٩م)



